

السياحة في المخيال الجمعي الجزائري بالبطه مريم طالبة دكتوراه د. صوالحيتة الزهرة جامعة عنابة

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى توضيح واقع السياحة في المخيال الجمعي، كما يبين المجهودات المبذولة من طرف الجزائر بهذا الخصوص والتي يعكسها المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT 2030 الذي يسعى إلى تطوير البنية التحتية والاستثمارات القاعدية لتنمية السياحة في الجزائر، وقد تم رصد أهم التحديات التي تواجهها هذه التنمية السياحية خصوصا على مستوى مخيال السائح. الكلمات المفتاحية: السياحة، المخيال الجمعي، التنمية السياحية.

Résumé :

Le but de cet article est l'identification du concept de tourisme dans l'imaginaire collectif algérien et son importance, les efforts que sont faite par le gouvernement se basent sur un plan d'action, c'est le schéma directeur d'aménagement touristique SDAT 2030 pour développer les infrastructures, et faire réussir les différents défis surtout au niveau de l'imaginaire touristique. Mots clés : le tourisme, l'imaginaire collectif, le développement touristique.

مقدمة:

يشهد العالم تغيرات سريعة و متطورة في مجالات مختلفة، مما أدى الى ظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة ومتنوعة كالعولمة و التنمية المستدامة، ثورة المعلومات، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، التي بدورها ساهمت في إعادة بناء وهيكله الاقتصاد العالمي و دفع عجلة التنمية، وذلك بالاعتماد على قطاعات مختلفة من بينها نجد قطاع الخدمات، أو ما يسمى "القطاع الثالث" إذ يعد هذا القطاع أكثر القطاعات درا للمال على اقتصاديات الدول سواء كانت غنية أو فقيرة خاصة في المجال السياحي.

فالقطاع السياحي أو ما يسمى "بالذهب الأزرق" أصبح اليوم قطاعا اقتصاديا واعداد و متفاوت الأهمية من بلد لآخر، حيث أصبحت الدول اليوم تقوم بفتح أسواق جديدة إلى جانب التقليدية لأجل استمرارية المد السياحي طيلة العام، وتقديم برامج سياحية بخدمات ذات نوعية عالية و منافذ توزيعية مناسبة وترويج مكثف، من شأنه زيادة فترة إقامة السائح وزيادة الدخل القومي.

السياحة صناعة ثقافية و حركية اقتصادية يجب بناؤها و تحقيق الاستدامة فيها، حيث عرفها E.FLAMANT و J.M DEWAILLY "النشاط السياحي نتيجة لحركة عدد كبير من العناصر كالمواقع الطبيعية، الشروط المناخية، عناصر الجذب السياحي، المرافق السياحية، الاعلام، النقل، اختيار الزبون".⁽¹⁾ و تحظى السياحة اليوم بأهمية كبيرة لدى الباحثين و صانعي القرار في معظم دول العالم، فهي تنافس صناعة الذهب و البترول من حيث المداخل المعتبرة التي يتم تحقيقها، إذ تعتمد عليها الكثير من الدول و بشكل أساسي في الحصول على العملة الصعبة، باعتبارها ركن أساسي في دعم ميزان المدفوعات، و موردا اقتصاديا و اجتماعيا لا يستهان به.

وقد راهنت العديد من دول العالم الثالث على خيار السياحة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، و من بينها الجزائر التي أصبحت لا تملك الخيار كون السياحة أضحت ضرورة وطنية تشكل بتراتها الفني أحد البدائل الرئيسية للتنمية في البلاد خارج قطاع المحروقات ، إضافة الى قدرة هذا القطاع الفتى على حل العديد من المشاكل الاجتماعية كالبطالة و الفقر .

فالجزائر اليوم، لا تملك الاختيار، لأن الدخول إلى المجتمع الاقتصادي الجديد، أضحي حتمية لا مفر منها، فرضتها عولمة لا تنتظر أحدا، وهي لا يجب أن لا تفوت فرصة الاستفادة من تكنولوجيا الاتصال الحديثة التي تسيطر على العالم، من أجل الوقوف في وجه التحديات، والرهانات المفروضة عليها، على مستوى السوق المحلية أولا، ثم الدولية ثانيا، مما سينعكس بصفة مباشرة على تنميتها الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، وكذا اختياراتها السياسية، من أجل تدارك الوقت الضائع، الذي تسببت فيه عوامل وظروف متعددة. وهو ما سيتطلب سنوات طويلة من العمل والجهد، وعلى جميع المستويات من أجل إحياء هذه الصناعة الضخمة، وهي تفرض زيادة مجهود من طرف كل الأطراف الفاعلة في الشبكة السياحية.

الاشكالية:

ارتقت الجزائر كغيرها من المجتمعات النامية مدارج لا بأس بها في سلم النمو خصوصا بعد العشرية السوداء وذلك بمثابة حكومتها على العمل على رفع مستوى رفاهية وكفاية شعبها من خلال خطط و أعمال تحسيسية كبيرة حول رهان التنمية من جهة و تطوير برامج انجاز للنهوض بالسياحة الى مستوى المعايير الدولية و جعلها بديل لقطاع المحروقات المههد بالانحسار.

إذ يعتبر المجتمع الجزائري، مجتمع شاب، إذ يمثل الشباب فيه % 75 من شرائح المجتمع وان كانت النسبة قد تقلصت وفق آخر إحصاء للسكان سنة 2008 . كما كان لشباب الاستقلال الدور في إعادة بناء الجزائر اقتصاديا، سياسيا، اجتماعيا وثقافيا، وإن اختلفت الأدوار باختلاف التغيرات والتحويلات التي شهدتها المجتمع الجزائري، فالمجتمع الجزائري في الستينات والسبعينات ليس هو المجتمع الجزائري في التسعينات والألفية الثالثة، وبالتالي فالمكانات والأدوار تختلف، و من هنا نستنتج أن المخيال الجمعي أيضا مسه التغيير نتيجة التغيير الاجتماعي الحاصل.

تتطلب السياحة في الجزائر امتلاك الفرد لقدر من المعارف و المعلومات و المفاهيم و القيم، التي تمثل في مجملها خلفية مناسبة لكي يسلك سلوكا سياحيا رشيدا كما تتطلب أيضا تحررا من الخوف على ذوبان الذات والشخصية و الانفتاح على ثقافات الغير بغية التحرر من قيود الانغلاق. و قد شكلت السياحة في المخيال الجمعي الكثير من المعاني غير المرغوب فيها في ثقافة المجتمع الجزائري لاسيما على مستوى ذهنيات الأفراد التي تردد عدم احتمالها لمفاهيم سياحية مثل: عدم الاختلاط بالسياح خوفا على العادات و التقاليد، والنظرة القاصرة إلى أن السياحة لا تكون سوى للعزاب أو الأفراد دون الأسر، إضافة إلى الصورة السلبية التي رسمت عن السياح والسياحة الخارجة عن المجتمع، فمفهوم السياحة في السابق كان يعني العطلة، و فيها يتم ممارسة السياحة الشاطئية أو العلاجية أي الذهاب إلى الحمامات، أيضا كانت الزوجة تقضي العطلة في منزل والديها مع أولادها و لم يكن الأفراد يتطلعون إلى أكثر من ذلك ، لكن التغيير الاجتماعي الذي طرأ على

المجتمع الجزائري أسفر عن تغير المخيال الجمعي الذي أصبح يتطلع الى المفهوم الجديد للسياحة الذي يتجسد في التطلعات الثلاثة للسائح الجزائري المتمثلة في العصرية، التحديث العمراني، الترفيه بغرض الاسترخاء، وذلك وفق أربع مراكز اهتمام هي: (2)

- ♦ المشتريات مثل المراكز التجارية العصرية.
- ♦ الحاجيات المرتبطة بمنتجات الاستجمام مثل محطات الاستجمام بثمن زهيد ونوعية مقبولة.
- ♦ حاجيات في شكل منتجات "الترفيه" متكيفة مع الزبائن من الشباب وخاصة الأطفال والمراهقين مثل: فضاء الترفيه المائي، حظائر التسلية.
- ♦ ثقافة العطل ضمن العائلة الموسعة، مثل عرض متكيف في شكل إيواء بسعر معقول وذو نوعية.

و ظهور المفهوم الجديد للسياحة نتج عن التغير الذي مَسَّ هياكل عديدة في إستراتيجية العمل في محاولة بَدَتْ جِدِّية للحاق بركب الحضارة ، تمثل ذلك خصوصا في جوانب مهمة من بينها : تكنولوجيات الاتصال بأنواعها المختلفة، التي جعلت الجزائر مفتوحة على العالم بأسره على مصراعيها، و هذا الانفتاح حتما أدى إلى نتائج إيجابية على مستوى نمو الوعي و التفكير و إدراك قيمة السياحة بصفة عامة، و كيف أنها في أنظمتها العالمية لا تتعارض مع القيم والأخلاق والثقافات، فالانفتاح ظهر في معظم العلاقات الاجتماعية، فعلى سبيل المثال لا الحصر أصبح خروج المرأة إلى العمل ضرورة عند العامة من الناس، في حين كان هذا الأمر ولوهلة زمنية ماضية وبسيطة غير مسموح به إطلاقا.

إن تنمية السياحة من خلال المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT 2030 تركز على تشجيع السياح المحليين للتوجه نحو الفضاءات الترفيهية والعلاجية في المقام الأول، تليها أنواع السياحة الأخرى، باعتبار المواطن الجزائري على العموم ذو مستوى دخل متوسط لا يسمح له باختيار باقي أنواع السياحة، وبالتالي فمخططات التهيئة السياحية ركزت على تنمية العروض الترفيهية وإشراك السكان المحليين في هذه المخططات بنشر الوعي بينهم لإنجاح المخطط، وإنشاء أقطاب إمتياز تراعي القدرة الشرائية للمواطن وتجمع تجهيزات الإقامة، التسلية والأنشطة السياحية المختلفة، ولا زالت نتائج هذا التطبيق قيد التقييم إلى نهاية الفترة الأولى 2008 - 2015م.

مما سبق و من خلال التغير الحاصل في ملامح و مظاهر المخيال الجمعي الجزائري نطرح التساؤل التالي:
هل أضحت السياحة ضرورة حتمية في المخيال الجمعي الجزائري؟
مفهوم السياحة:

"مجموعة من العلاقات والخدمات المرتبطة بعملية تغيير المكان تغيرا وقتيا وتلقائيا وليس لأسباب تجارية." (3)
"تنقل الناس بشكل مؤقت إلى أماكن خارج محلات سكنهم أو أعمالهم الاعتيادية والنشاطات التي يقومون بها خلال الإقامة في تلك الأماكن والوسائل التي توفر إشباع حاجاتهم" (4)

وحسب Hunziker & Kraph هي "مجموع العلاقات والظواهر التي تحكم سفر وإقامة غير المقيمين إقامة غير دائمة خارج إطار العمل الدائم." (5)

وعليه تعد السياحة من بين النشاطات التي يمارسها الناس لأغراض مختلفة، وترتكز في الأساس على الانتقال إلى أماكن أخرى لأغراض بعيدة عن العمل.

تؤدي التغيرات والتكتلات العالمية إلى الحد من الصادرات بالإضافة إلى نقص الحصيلة المتوقعة للصادرات البترولية نتيجة لتذبذب أسعاره مما يجعل النشاط السياحي نشاطا اقتصاديا هاما بالنسبة للاقتصاد الجزائري خصوصا.

كما انها تساهم في: (6)

الترويج للعديد من الأنشطة المصاحبة لها والمرتبطة بها حيث يستفيد منها كثير من الأفراد، حيث تشير الدراسات إلى أن كل غرفة فندقية تتشئ 2.75 فرصة عمل في مجالات مختلفة، (أي كل 100 غرفة تخلق 275 فرصة عمل) فالسياحة وعاء ضريبي جيد حيث تستطيع الدولة تحقيق زيادة كبيرة في إيراداتها العامة من خلال تحصيل أنواع مختلفة من الضرائب والرسوم التي تفرض على الأنشطة والخدمات السياحية. الطلب والعرض السياحي:

يعتبر الطلب السياحي محرك نشاط مختلف الخدمات السياحية إذ يمثل: "مجموع الاتجاهات الرغبات وردود الفعل اتجاه منطقة معينة." (7)

وهو "اتجاهات السياح لشراء منتج سياحي معين أو زيارة منطقة ما أو دولة سياحية، قوامه مزيج مركب من عناصر مختلفة تمثل الدوافع والقدرات والميول والحاجات الشخصية التي يتأثر بها المستهلكون السياحيون من حيث اتجاهات الطلب على منطقة معينة" (8) يمثل العرض السياحي:

"مجموع المنتجات والخدمات اللازمة لإشباع رغبات وحاجات السائحين أثناء الإجازة والسفر، كما أن العرض السياحي يجب أن يكون واقعي وقابل للاستهلاك" (9) ويتجسد أساسا في "مجموعة عناصر ومقومات غير متجانسة من حيث طبيعتها إلا أنها متكاملة فيما بينها من أجل تحقيق إشباع رغبات السائحين المختلفة." (10) السياحة الداخلية: تعد السياحة الداخلية من أهم أنواع السياحة إلى جانب السياحة الخارجية، إذ أن درجة اهتمام الدولة بالسياحة تتعكس من خلال إرضاء زائنها الداخليين بالمقام الأول، وعليه يمكن تعريف السياحة الداخلية بـ:

"هي تنقل السياح مؤقتا من أماكن إقامتهم إلى أماكن سياحية داخل بلدهم ليلة على الأقل بهدف الاستمتاع بالجوانب الثقافية والطبيعية وغيرها" (11) وهي النشاط السياحي "الذي يتم من مواطني الدولة لمدنها المختلفة التي يوجد بها جذب سياحي أو معالم سياحية تستحق الزيارة" (12)

وتعرف أيضا بالسياحة المحلية وهي: "انتقال أفراد الدولة من أماكن إقامتهم إلى أماكن أخرى بغرض السياحة، لكن بشرط أن لا يتعدوا الحدود السياسية لبلدهم، وتتمثل في الرحلات القصيرة وزيارة الأرياف وغيرها." (13)

"وتعتبر السياحة نشاطا إنسانيا يعتمد على الدوافع وحب المعرفة والاستكشاف والتعلم، وما ينجر عن ذلك من تهذيب للسلوك، واكتساب للمهارات والمعلومات، والإطلاع على المعارف بشتى أنواعها، واكتشاف المجهول في الطبيعة والحضارات المتعاقبة."⁽¹⁴⁾

السياحة و المخيال الجمعي:

مدلولي المخيال الجمعي و المخيال الاجتماعي يستخدمان بصفة متماثلة ، اذ يعتبر المخيال الجمعي "مجموع الدلالات الخيالية المرسله من طرف جماعة معينة ، المحفوظة و المتحولة على طول التاريخ البشري" ، وتضيف F.Guist Desparairies " المخيال الجمعي يعني مجموع العناصر المنظمة على شكل وحدة دلالية للجماعة ، كما انه مخيال مركزي يكون قوة رابطة و مبدا تنظيم للجماعة في الوضعية الاجتماعية"⁽¹⁵⁾ ، فكل جماعة انسانية تتبنى و تتقاسم مخيالا جمعيا خاصا بها ، فهي تجمع كل التمثلات المشتركة النابعة من هذا المخيال الجمعي و الممكن ارسالها اجتماعيا او ذهنيا كالرموز ، الحركات، الممارسات الرمزية، المعتقدات، التقاليد، القيم، العادات و الاساطير، التي تخلق لدى الجماعة الحاجة لبناء مخيالها الجمعي و في هذا المعنى يؤكد Emile Durkeim بأن " المخيال يعبر عن الطريقة التي يمثل فيها المجتمع الانسانية و العالم و يكون النظام الذهني و التاريخ."⁽¹⁶⁾

و بشكل آخر يؤكد Serge Moscovici بأن " التمثلات الاجتماعية هي نماذج للتفكير التطبيقي الموجهة نحو الاتصال، الفهم و الممارسة في المحيط الاجتماعي المادي و المثالي"⁽¹⁷⁾.

يعتبر مفهوم المخيال من المفاهيم التي يصعب تحديد معناها بسهولة و هذا راجع إلى أن هذا المفهوم تتحكم فيه آليات و ميكانيزمات عقلية و نفسية و اجتماعية في آن واحد كما يلجأ عامة الناس إلى استعمال كلمات تؤدي نفس المعنى او تقترب منه و في هذا السياق يقول Gilbert Durand " إننا كثيرا ما نستعمل كلمات مثل صورة علامة للتدليل عليه"⁽¹⁸⁾، فالمخيال هو الجانب اللامرئي في حياة الأفراد و يتشكل من مجموعة من العناصر كالرموز و الصور، و من أصنافه المخيال التمثيلي وهو موضوع الدراسة، فمن شروط تحقيق المخيال التمثيلي أن يكون مستمدا من الواقع يعني ألا يكون منفصلا عن العالم المادي الذي نعيش فيه لأن عملية التمثل تتم عبر وعي الفرد للواقع حتى يستطيع نسخ ما شاهده و أحسه، و بهذا المعنى يصبح التمثل ضروريا و لازما.

المدخل النظرية لدراسة المخيال الجمعي:

إن المخيال الجمعي عبارة عن نظام تفسير، فهو يلعب دورا هاما في عملية التفاعل الاجتماعي و إقامة و إستمرار العلاقات الاجتماعية، و في نفس الوقت يتشكل هذا المخيال بفعل عديد من العوامل كالأفراد، الجماعات، القيم، المعتقدات و الأبنية الاجتماعية.

من أهم المدخل النظرية المفسرة للمخيال الجمعي نجد: ⁽¹⁹⁾

المدخل الانثربولوجي:

اهتم الانثربولوجيون بدراسة التغير الاجتماعي و الثقافي المترتب على التحضر و التحديث، علاوة عن الاهتمام بالثقافات الفرعية. يعبر هذا المدخل أهمية كبيرة لعمليات الهجرة، النمو و التكيف، كما أنه يطرح

أهمية تكوين المخيال استنادا الى عناصر و مكونات البيئة التي تتكون من مجموعة من النظم المحددة لنسق القيمة و كيفية إدراك الفرد لما يحيط به.

و إن أساليب الحياة الثقافية تحدد منظومة المخيال الجمعي و كيفية النظر إلى الآخر و التعامل معه، كذا الحكم على الأرشيف الجمعي من ناحتي السلب و الإيجاب، لذا فالنماذج الثقافية و الأساليب النمطية للحياة الاجتماعية تؤثر تأثيرا كبيرا في نظرتنا و تصورنا لمختلف الظواهر كالسياحة مثلا.

نضيف إلى ذلك أن ثقافة الجماعة تؤثر في كل جانب من جوانب نمو الفرد، تطوره، اكتساب أساليب الحياة و التعامل مع المحيط و عناصر البيئة بأبعادها المادية و اللامادية.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه العناصر تشكل شخصية الفرد و تصقل الانسان و توجهه و تحدد مساراته، استجاباته و ردود أفعاله و نظرتة إلى الحياة، بالتالي فإن مضمون المخيال الجمعي يرتبط في جزء كبير منه بالقيم، التقاليد، العادات و الرموز ، إلى جانب تنظيم الحياة، أساليب العيش و بناء الجماعة.

فالظاهرة السياحية في مخيالنا الجمعي تختلف باختلاف المتغيرات الديمغرافية، المؤثرات البيئية و أساليب الحياة الاجتماعية، و من هنا يبدو جليا، أن الدخل الأنثروبولوجي يقدم تفسيراً لكيفية تشكل و تطور المخيال الجمعي بدءاً بدراسة تطور الفرد، بيئته، ثقافته، انتماءاته، تكيفه، وصولاً إلى شبكته العلائقية داخل المجتمع.

المدخل الاجتماعي:

يشكل هذا المدخل نقطة تقاطع في العلوم الاجتماعية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي و ما يتضمنه من نظم و أنساق، و لقد ذهب هذا الاتجاه إلى تحليل قضايا تباين المراكز و المكنات، و كذلك أنساق التنشئة الاجتماعية.

فإذا كان المخيال الجمعي يرتبط بالبناء الاجتماعي و الفاعلين الاجتماعيين، فإنه يشكل نظام تفسير يسير علاقاتنا مع العالم و مع الآخرين، كما يوجه و ينظم سلوكياتنا و تعاملاتنا الاجتماعية . و عليه تصبح السياحة في مخيالنا الجمعي نتاج واقعا و التفاعل بين ما هو مادي و ماهو ذهني، فالانتماء لبيئة محددة و التواصل مع الآخرين يشكل الجسر الذي نعبر من خلاله عما يوجد في بيئتنا و يمكننا من إدراك و معرفة مختلف الظواهر.

المدخل النفسي:

إن أسلوب الحياة و ما يرتبط به من سلوكيات و ممارسات فردية، تنتج أفعالا و مواقف ذاتية تعبر عن علاقة الفرد بالظاهرة من منطلق الذاتية، أي إضفاء الطابع الذاتي على المخيال و تفسيره حسب ما يفهم الفرد و ما يضيف عليه من دلالة و معنى.

إن التأمل الباطني و التحليل الخارجي لمسألة المخيال الجمعي يقود إلى دراسة معتقدات الأشخاص اتجاه الظواهر المعنية دون اهمال أهمية الأحاسيس، المشاعر و التفاعلات في تشكيل المخيال الجمعي.

و على العموم، يركز المدخل النفسي على تحديد مقومات و خصائص ظاهرة التنشئة، استجابات الوسط، الصراع و العلاقة بالوسط الاجتماعي، و على هذا الأساس يقر هذا المدخل أن المخيال يرتبط تكوينه و تشكله بنمو الذات، احتكاكها و تطورها.

عوامل تغير المخيال الجمعي:

إن تغير المخيال الجمعي لا يحدث تلقائياً أي بدون سبب و غالباً ما تكون مصادر قوية و قاهرة ومؤثرة بشكل مستمر وهاذف في التحول و الانتقال من حال إلى حال، وأن الوضع الساكن أو الراكذ ما هو إلا مؤقت ومرحلي، وعليه ففوامل تغير المخيال الجمعي عديدة ، نذكر من بينها: (20)

الصراع الاجتماعي: وهو يمثل أحد أشكال عدم الاتفاق بين الأفراد في وجهات نظرهم، وذلك لاختلاف مصالحهم وغاياتهم و دوافعهم، مما يجعلهم يدخلون في صراع فيما بينهم ، ينتهي بهيمنة أحدهم على الآخرين، فعلى سبيل المثال الخلافات التي تنشأ بين الزوجين حول ميزانية الأسرة أو حول أمور أخرى تتعلق بحاضرها أو مستقبلها ، فهي تمثل عدم الاتفاق بينهما ، مما يفتح النزاع، لا ينتهي إلا بتغير في مواقف أحدهما أو قرار كليهما، وهذا يعد تغيراً (محدود النطاق) يقع بين فردين .

ثمة حقيقة أخرى تتعلق بمصادر التغير وهي حدوث الصراع داخل الجماعة الواحدة و بالذات عندما يحصل شقاق أو اختلاف بين داخل الجماعة الواحدة ، كاختلاف في وجهات نظر الأعضاء أو عدم التقاء مصالحهم أو تباين أسلوبهم بالتعامل مع رئيس جماعتهم مما يبلور عندهم و افتراقات و تمزقات في رؤاهم أو أحكامهم أو بواعثهم فينشأ الصراع بينهم الذي ينتهي بتغير سياسة الجماعة أو نظامها الداخلي أو أحد معاييرها أو أهدافها.

الحروب: مصدر آخر للتغيير وهو يشكل مثالا مأساوياً للصراع الاجتماعي و الذي يقود إلى تغيرات اجتماعية عديدة وعميقة و شاملة، إذ يصف كلاوسوتز وهو أحد الاستراتيجيين العسكريين الألمان الحرب بأنها ما هي سوى إقناع سياسي عبر وسائل غير سياسية.

الحركات الاجتماعية : وهي أحد وكالات التغير الاجتماعي، تعمل على تغير البناء الاجتماعي، إذ يكون بعض الناس غير مقتنعين بما يحصل داخل المجتمع من أمور سياسية و اقتصادية، أو عن طريق احتكاكهم يتبلور عندهم شعور و إدراك و رغبة في تأسيس أو تشكيل جماعة اجتماعية منظمة تطالب بتغيير الأمور التي لا تتفق مع قناعاتهم (21).

و لعل أحسن مثال على الحركات المنظمة مجموعة الـ 22 المفجرة للثورة الجزائرية، وكيف عملت على تغيير الأوضاع المزرية التي كان يعيشها آباءنا و أجدادنا إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم، و ذلك بالعمل على تفجير الثورة و النيل من العدو، واسترجاع حرية الشعب المسلوبة

مراحل تغير المخيال الجمعي:

إن تغير المخيال الجمعي يتم تدريجياً عبر مراحل مختلفة ، نذكرها بإيجاز: (22)

مرحلة التحدي: وهي نقطة البداية في كل عملية تغير، وتتم من قبل المجتمع التقليدي، وكلما زاد تمسك المجتمع بالمحور القيمي كلما زادت مرحلة التحدي ، فهذه المرحلة نختلف شدتها ومدتها باختلاف المجتمعات باختلاف ثقافات و إيديولوجياتها.

مرحلة الانتقال: حيث تتم هذه العملية بالتدرج ، وذلك لبقاء الصراع المشند بين القديم والحديث، وتعتبر هذه المرحلة من أخطر المراحل على الأفكار، وذلك لأن هذه الأفكار قد تحوي ما يتعارض و قيم الفرد والمجتمع، وبالتالي قد تتحرف إلى أفكار هدامة تطول سائر المجتمع.

مرحلة التحويل: وهي المرحلة التي يتم فيها إعادة التنظيم الجذري للبناء المتغير من جميع جوانبه. مرحلة تطبيق الأفكار الجديدة (المرحلة المتطورة): وهي المرحلة أو الحالة الجديدة التي آل إليها التغير، وهي مرحلة تجسيد الأفكار على الواقع وإقامة التنظيم على أسس جديدة نابعة من عملية التغير . نجاح التغير الاجتماعي:

يمكننا تلخيص عوامل نجاح التغير في النقاط التالية: (23)

التخطيط العلمي و أصالة النموذج التصوري للتغير الاجتماعي.

الدراسة العلمية الشاملة للقيم والاتجاهات و المعايير السائدة، ودراسة العوامل المؤثرة فيها و تقييمها تمهيدا لتقويمها وتغييرها في ضوء ما هو مرغوب فيه عن طريق الأجهزة التربوية والإعلامية وغيرها. مراعاة الإطار التكاملي للتغير حتى لا يحدث وهن ثم انهيار وانحلال مادي أو معنوي نتيجة عدم المواكبة بين التغيرات التي تطرأ على مظهر دون آخر.

تحقيق التكامل بين عنصري الثقافة - العنصر المادي الذي يشتمل وسائل الإنتاج والتكنولوجيا و العنصر المعنوي الذي يشمل النظم الدينية و السياسية و الاقتصادية والأفكار و المعايير و القيم الأخلاقية. تحقيق الانسجام والتكامل في التنظيم الاجتماعي أي التغلب على مصادر الشقاق و التشقق و العصبية و التعصب في المجتمع خاصة إذا كان يتألف من عدة قوميات أو طوائف متميزة. مظاهر تغير المخيال الجمعي الجزائري:

تظهر داخل المجتمع تشكيلات جماعية ثانوية من الأصدقاء والزملاء ، والمعارف تقوم على أساس قيم حضارية وتظهر هذه التشكيلات في مجال مكاتب العمل والمدارس والتنظيمات المحلية ، حيث يختار الفرد ما يتناسب مع مؤهلاته أو رغباته أو مزاجه أو هواياته، أي يتحرر من التماثل مع أنماط عيش عاشها آباؤه وأجداده، وهذه الحالة لم تكن سائدة من قبل ، فمن مظاهر التغير الاجتماعي أنه أتاح المجتمع الصناعي الحديث الفرصة أمام المرأة للالتحاق بالعمل خارج البيت والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير هذا العمل بعدما كانت المرأة التقليدية إما مأكثة بالبيت أو تعمل في الزراعة لتساعد زوجها أو تعمل عمل حرفي كالخياطة وهي في بيتها، فكان المخيال الجمعي السائد هو تفرغ الزوجة لرعاية الزوج والمنزل والأولاد، وخروج المرأة الى العمل كان له تأثير على الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية وتأثر الأبناء بعمل المرأة في العصر الحديث، كما أحدث عمل المرأة عدّة تغيرات على مستوى المخيال الجمعي، منها إرسال الأولاد الى دور الحضانة والإستعانة بالخادومات، واستخدام الأدوات المنزلية الحديثة، والعمل على تنظيم النسل.

هذا التغيير خضع لمؤثرات وضوابط اجتماعية و ثقافية وأيديولوجية بالدرجة الأولى، فالقبول أو المقاومة لأي تغيير جديد لا يكون عاما على كافة المجتمعات الإنسانية، ومثال ذلك وسائل ضبط النسل التي قبلت من قبل اليابانيين بسرعة ولم يقاوموها، في حين قاومها المجتمع الجزائري.

وعليه قد تكون المقاومة وعدم التأييد للتغيير هي استجابة سليمة أو متعصبة غير معقولة في آن واحد، وذلك حسب طبيعة هذا التغيير أو التجديد أو الابتكار، و حسب اختلاف الأفراد وفروقاتهم الفردية المختلفة من قيم وعقائد وعادات وتقاليد، ولذلك تنشأ هذه المعارضة أو المقاومة من خلال مصادر عدّة: اجتماعية و سيكولوجية و ثقافية و اقتصادية .

إن المخيال الجمعي الجزائري ناتج عن احتكاك و تفاعل مختلف مخيالات الجماعات الاجتماعية المكونة له ، إذ يختلف حسب الجهات، فنجد القبائل، الشاوية، الطوارق و العرب، و كل واحدة تمتلك مخيالها الجمعي الخاص بها، لكن لا يبق هذا المخيال مستقرا ساكنا سائرا في انجاز وظائفه في هدوء طوال أجيال متعاقبة، فحين يصل إلى درجة من التجمع الحضاري يبدأ في التغيير بسبب وجود قوى تعمل لتأسيس نظم جديدة، فأحيانا ينظر إلى المخيال الجمعي الجزائري كقالب اجتماعي يضم مجموع الأفكار، الدلالات، الصور، العادات، التقاليد، و غيرها التي يتم تقاسمها داخل الثقافة الجزائرية ، كالدين، و كذلك الرمزية المشتركة. فتواجد مثل هذه المكونات البشرية ، التاريخية و الثقافية المتنوعة ، تمثل ثروة و قوة رابطة ، إذ تربط المجتمع ككل للتعبير عن طريقته في الفهم، الإدراك و الاتصال مع العالم بأسره، كما كان الحال اثناء الحقبة الاستعمارية، اين عملت على تحرير مخيالها الجمعي من قيود المستعمر.

و نظرا لكون موضوع الدراسة يخص المجتمع الجزائري بصفة عامة و كون الأساس الرئيسي للثقافة يوجد في المخيال الجمعي وليس في أي مظاهر خارجية، و ما العناصر المادية لإنتاج لسلوك الأفراد⁽²⁵⁾ ، فالدين هو أهم عنصر يشكل المقومات الأساسية للمجتمع و هو الذي يولد النظم الثقافية السائدة في المجتمع، إذ لا يوجد شئ ألق بالمخيال من الدين⁽²⁶⁾ ، كما أن الثقافة تلتصق بحياة الأفراد و سلوكياتهم في المحيط الاجتماعي ضمن البيئة الواحدة، كما تلتصق بحياة الإنسانية في شكلها العام عبر الزمان و المكان ، وتكشف عن المخيال الجمعي من خلال العلاقات الاجتماعية و تناقضاتها المرتبطة بمصالح الافراد⁽²⁷⁾ .

ومن أهم مظاهر وملامح التغيير في المخيال الجمعي الجزائري مايلي:

- التقدم العلمي والتكنولوجي أدى إلى رفاهية الفرد والمجتمع في مجالات عديدة.
- تحسين وسائل الاتصال وزيادة اعتماد الأفراد و الجماعات على بعضهم البعض، وسهولة التزاوج بين الثقافات.
- النمو الحضاري والتغيير العمراني المصاحب للتغيير السكاني.
- ظهور قوة للطبقة العاملة.
- الهجرة من الريف و القرى إلى المدن.
- التوسع في تعليم المرأة .
- إدراك أهمية التعليم في تحقيق الارتفاع على السلم الاجتماعي و الاقتصادي وبالتالي، زيادة الحاجة إلى إعداد صفوف ممتازة من العلماء لضمان المزيد من الرقي الاجتماعي و الاقتصادي.
- نمو وعي الأفراد بحقوقهم و واجباتهم الوطنية.

- تغير بعض القيم الاجتماعية التقليدية التي كانت تسود المجتمع وتحكم سلوك أفرادها، فأصبح مقبولا بعض ما كان مرفوضا و منبوذا من قبل ، كخروج المرأة من دائرة البيت الضيقة إلى مجتمع العمل و الإنتاج.

- تغير الشكل الأسري من الأسر الكبيرة إلى الأسر النووية المستقلة اقتصاديا.

السياحة في المخيال الجمعي الجزائري:

تشكل الاسفار لدى أي فرد حاجة تمدد بالاستجمام، الاكتشاف، التبادل و الثقافة، " السفر و اكتشاف آفاق جديدة هي حاجات أساسية كالمأكل و المسكن و هي أيضا طموحات محفورة في الطبيعة البشرية التي بلا شك قادت الانسان الى استيطان هذا الكوكب"⁽²⁸⁾.

فيوميات معظم الجزائريين اتسمت بالروتين منزل-عمل، ربما لان العرض المقدم في المجال السياحي قليل او يكاد يعدم، أو لا يتوافق مع المخيال الجمعي، و حتى يومنا هذا لا توجد دراسات حول السياحة في المخيال الجمعي و هذا ما يظهر غياب استراتيجية واضحة في هذا المجال و من الملاحظ ايضا ان الجزائر بقيت بلد مجهول سياحيا ليس للأجانب فحسب، و انما الجزائريون انفسهم يكادون لايعرفونها حيث كتب M.COTE بوضوح "الجزائر تمتلك مناظر خلابة و تراث متنوع و نادر ، لكن هذه الثروة مهمة من طرف السياح و مجهولة من طرف السكان انفسهم."⁽²⁹⁾

و ممارسة السياحة، تعني انه لديك وقت خال من اي التزام، لكن الفرد الجزائري اضافة الى ساعات عمله المهنية لديه نشاطات أخرى كالنقل، المهام العائلية، التي يمارسها بنوع من الصعوبة و العصبية، لأنها تشغل معظم وقته الحر، ربما هذا ما يفسر صعوبة تفكيره في السياحة و الترفيه، و لكن هذا ليس السبب الرئيسي لان العامل المادي أيضا له نصيبه في ذلك لأنه يلعب دورا كبيرا في المجتمع الجزائري الذي يتكون اساسا من طبقتين اجتماعيتين الاولى ذات دخل متوسط و الثانية ذات دخل ضعيف و منه فالفرد الجزائري يفكر في تسديد فواتيره آخر الشهر قبل ان يفكر في السياحة، J.J.DELUZ الذي عاش زمنا طويلا في الجزائر كتب " في الطبقات المتوسطة دون التحدث عن الفقيرة اكثر من 60% من الميزانية العائلية مخصصة للتغذية و 0,6 مخصصة للسياحة سنة 2002"⁽³⁰⁾. هذا الفارق يعود الى ارتفاع مستوى المعيشة مقارنة بالدخل المنخفض الذي لا يرتفع بالتوازي، كما كان ايضا للأزمات السياسية و الامنية دور كبير في التأثير على المخيال الجمعي حيث رسخت فيه و لمدة طويلة الانعكاس السلبي للسياحة، ففي الوقت الذي سخرت فيه دول كثيرة امكانات مادية و بشرية كبيرة للنهوض بهذا القطاع، مارست الجزائر سياسة الانغلاق المتعمد على الخارج للالزمة الامنية التي مرت بها في فترة التسعينات، ليس من المستغرب ابدا ان تؤدي المشاكل المذكورة سابقا الى قصور في الثقافة السياحية لدى الجزائريين، اذ نجد عدد الموظفين في هذا القطاع محدود جدا ربما لعدم الوعي الجمعي بأهمية السياحة عكس دول الجوار " تونس، مصر " التي يوجد بها عدد كبير من الطلبة و الشباب للتكوين في المجال السياحي على مختلف المستويات، كذلك يلاحظ تراجع كبير في الصناعات التقليدية من حيث تنوعها، كميتها و درجة اتقانها، حيث اصبحت تباع في السوق الجزائري الاواني الفخارية التونسية، الحلي التركية، و الالبسة التقليدية المغربية.

لا يمكن لأي مجتمع ان يكون محل استقطاب سياحي مالم تسد لدى افراده قيم الحوار وتقبل كل الثقافات والاستعداد للتعيش معها، لان السياحة تقتضي توافد العديد من الافراد متعددي الافكار والثقافات والعادات والتقاليد، ولا بد من استعابهم واحتضانهم حينما يمتلك المجتمع ثقافة الحوار وتقبل الآخر إذن: هناك حتمية للاتصال و التفاعل بين مختلف الحضارات والثقافات على اعتبار أن التبادل الحضاري ظاهرة إنسانية متأصلة في التاريخ الإنساني، ومن هنا ضرورة إرساء تواصل حي ودائم ومثمر بين مختلف الخصوصيات الثقافية.

آفاق السياحة في الجزائر:

قصد استغلال المقومات السياحية وتنمية السياحة الجزائرية تم اعتماد مخطط توجيهي للتهيئة السياحية وهو "الإطار الاستراتيجي المرجعي للسياسة السياحية في الجزائر، حيث يعلن عن نظرة الدولة للتنمية السياحية في مختلف الآفاق على المدى القصير 2009، المدى المتوسط 2015، والمدى الطويل 2030م في إطار التنمية المستدامة، وهو جزء من المخطط الوطني للتهيئة الإقليمية SNAT 2030".⁽³¹⁾

وعليه يسعى المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT 2030 إلى تنمية السياحة من خلال:⁽³²⁾

- ♦ تطوير عرض مهيكّل من السياحة الشاطئية يتلاءم وحاجيات العائلات الجزائرية.
- ♦ تأهيل موارد الحمامات المعدنية حتى تأخذ مكانتها في السوق الوطنية للسياحة والعلاج والصحة.
- ♦ تطوير فضاءات الترفيه الموجهة للشباب.

الفروع المستهدفة لتنمية السياحة الداخلية وفق مخطط SDAT2030:

قصد تنمية وتطوير السياحة الداخلية والمحافطة على السياح الجزائريين، تم تحديد مجموعة من الفروع أهمها:⁽³³⁾

- ♦ سياحة الاستجمام والرفاهية وتسوق المتعة والتسلية.
- ♦ السياحة العلاجية، الصحية، وسياحة الرفاهية.
- ♦ سياحة الأعمال.
- ♦ السياحة الصحراوية والتجوال.
- ♦ السياحة الثقافية والتعبدية.
- ♦ السياحة الطبيعية
- ♦ الصيد البحري/القنص.
- ♦ أنشطة الثلج.
- ♦ السياحة الرياضية.

وعليه فالأهداف التسويقية لتنمية هذه الفروع تتمثل في:

- ♦ تحديد التدفقات باقتراح منتج ذو قيمة إضافية عالية.
- ♦ زيادة النفقة السياحية.
- ♦ تنمية المنتج المتمحور حول الفروع المؤثرة في الصورة الايجابية.

- ♦ التحريض على الذهاب للعطل (الجذب السياحي)
- ♦ تطوير استهلاك التسلية الجوارية على مدار السنة.
- ♦ تشجيع استهلاك السياحة العلاجية، الصحة والرفاهية.
- ♦ أما الأدوات والوسائل الاتصالية المقرر استخدامها فتتمثل في:
 - ♦ التسويق عبر الانترنت.
 - ♦ التلفزيون.
 - ♦ اليوميات الكبيرة.
 - ♦ الراديو.
 - ♦ الصحافة والقنوات المتخصصة.

كما أن هناك العديد من النقائص التي تعيق تنمية السياحة في الجزائر أهمها:

- ♦ الدخل المحدود للأفراد وغلاء المعيشة، إذ أن "ميزانية العطله لعائلة تتكون من 5 أفراد بين 30000 و50000دج"⁽³⁴⁾
- ♦ منافسة بلدان الجوار خاصة تونس، ليبيا، المغرب وجذبها للسياح الجزائريين بمقومات مشابهة للمحلية وبأسعار مغرية.
- ♦ نقص في الاستثمارات القاعدية.
- ♦ عدم تفعيل الدور الاعلامي لإمكانيات السياحة الداخلية.
- ♦ تدني الثقافة المحلية لمنطقة الجذب السياحي، ونقص وعي قاطنيتها سياحيا والذي يعكسه ضعف ظروف استقبالهم للسياح.
- ♦ وقد حددت هذه التحديات وفق التشخيص الذي أعدته الوزارة في كتاب المخطط التوجيهي للتنمية السياحية بعدة نقاط أبرزها⁽³⁵⁾
 - ♦ ضعف الاستثمارات في الخدمات وعوامل الانتاج قصد الحفاظ الدائم على خدمات نوعية.
 - ♦ غياب التمويل الموجه للتأهيل المادي وغير المادي وضمن افضل لراحة ورفاه الزبائن الداخليين.
 - ♦ غياب سياسة المؤسسة التي تقوم على التأهيل وإدخال تجهيزات عصرية تتسجم مع المعايير الدولية.
 - ♦ الوضع الأمني الذي عرفته البلاد وأسفر عن توقف الأنشطة من خلال تغيير طبيعة ووجهة بعض الهياكل ذات العلاقة بالفنادق والإطعام والخدمات.
- ♦ كما تمثل السياحة البيئية تحدي جديد يجب مراعاته عند تبني المشاريع التنموية الجديدة بالبلاد إذ تمثل قيد مهم يراعي أولوية سلامة البيئة وفق متطلبات التنمية المستدامة.

الخاتمة:

لقد حاولنا في هذا المقال واقع و مكانة السياحة في المخيال الجمعي الجزائري في ظل المفهوم الجديد ومدى أهميتها على الصعيد الاقتصادي، وسعي الجزائر جاهدة إلى تطويرها من خلال تبنيها للمخطط التوجيهي للتنمية السياحية SDAT 2030 والذي انطلق العمل به على ثلاث مراحل لا تزال قيد التقييم، والتي تواجه

- بعض المعوقات على المستوى المحلي، تعكسها القدرة الشرائية للمواطن، الثقافة الفردية تجاه السياحة، نقص الاستثمار في البنية التحتية وكذا الخدمات المتدنية للمنشآت السياحية.
- المراجع و الهوامش:
- 1- شمس الدين الكيلاني، من العود الأبدى إلى الوعي التاريخي "الأسطورة.الدين.الايديولوجيا.العلم"، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1998، ص.14.
 - 2- وزارة تهيئة الاقليم البيئة والسياحة، المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية، SDAT 2025، مرجع سابق، ص.ص. 23-22.
 - 3- زكي خليل مساعد، تسويق الخدمات وتطبيقاته، الأردن، دار المناهج، 2005، ص.214.
 - 4- رزاز محمد عبد الصمد، التهيئة السياحية وأثرها على التنمية المحلية، في: يوم دراسي حول التهيئة السياحية ودورها في التنمية المحلية، مديرية السياحة لولاية برج بوعرييج، ديسمبر 2009، ص.18.
 - 5- Norbert vanhove, The economics of Tourism Destination, Published by Elsevier Butterwoth, 2005, p2
 - 6- نعيم الظاهر وسراب إلياس، مرجع سابق، ص.83، 84.
 - 7- بوفليج نبيل وتقرورت محمد، دراسة مقارنة لواقع قطاع السياحة في دولشمال إفريقيا، في: الملتقى الوطني الأول حول السياحة في الجزائر الواقع والآفاق، الجزائر، ماي 2010، ص5
 - 8- صبري عبد السميع، التسويق السياحي والفندقي، بحوث ودراسات المنظمة العربية للتنمية الادارية، مصر، 2006، ص.103.
 - 9- رزاز محمد عبد الصمد، مرجع سابق، ص17
 - 10- بوفليج نبيل وتقرورت محمد، مرجع سابق، ص5
 - 11- F.CHAISSEBOURG, Conseil économique et social, édition Depot lagl, s.l. , 1996, p.33.
 - 12- سالم حميد سالم، طارق سليمان، الأصالة التفاعلية بين السياحة والبيئة المستدامة: المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، ع2، 2009، ص.09.
 - 13- شنشونة محمد، رجال فاطمة، التوازن البيئي والتنمية السياحية الداخلية المستدامة لولاية عنابة: الملتقى الوطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة باتنة، 19-20 نوفمبر 2013، ص.03.
 - 14- جعيل جمال، إسماعيل زحوط، الحرف والصناعات التقليدية كفرص لترقية السياحة الداخلية في الجزائر: الملتقى الوطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة باتنة، 19-20 نوفمبر 2013، ص.11.
 - 15- Algeria: Travel & tourism economic impact 2012: KEY FACTS, in: World Travel & Tourism Council 2012.
 - 16- F.GUIST-DESPAIRIES, L'Imaginaire Collectif , Erès, Paris, 2003,p.34.
 - 17- É. DURKHEIM, in : "Mythologie." Microsoft® Encarta® 2011[DVD].
 - 18- معن خليل العمر: التغيير الاجتماعي، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص.113.
 - 19- نفس المرجع، ص 120.
 - 20- جودة بني جابر: علم النفس الاجتماعي، ط1، مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، 2004، ص.162.
 - 21- أحمد الخشاب: التغيير الاجتماعي، القاهرة، 1971، ص.270.
 - 22- سناء الخولي: التغيير الاجتماعي و التحديث، دار المعرفة الجامعية، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، 2003، ص 136.
 - 23- وهيب سمعان، الثقافة و التربية، دراسة تاريخية مقارنة، دار المعارف، مصر، 1961، ص.13.

- 24- أحمد بن نعمان هذه هي الثقافة، ص.127.
- 25- أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، ص.97.
- 26- J.L CACCOMO, Fondement d' économie du tourisme, Paris, 1997, p.11.
- 27- M. COTE, Guide d'Algérie: Paysages et patrimoine, s.ed., s.l., 1999, P.05.
- 28- J.J. DELUZ, Alger chronique urbaine , s.ed., s.l., 2003, P. 221.
- 29- وزارة تهيئة الاقليم البيئية والسياحة، المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية، SDAT 2025، مرجع سابق، ص.ص. 23-22.
- 30- الموقع الرسمي لوزارة تهيئة الاقليم البيئية والسياحة، www.mate.gove.dz
- 31- وزارة تهيئة الاقليم البيئية والسياحة، المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية، SDAT 2025، مرجع سابق، ص.78.